راسخ على أرض المملكة وينعم به الإنسان

الأمن والأمان.. حق ومطلب للنهوض بالأمة

كتب: أحمد خلف الله

لقد كرم الله عز وجل الإنسان، وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه، وزوده بالقوى والمواهب ليسود الأرض، وليصل إلى أقصى ما قدر له من كمال مادي وارتقاء روحي، ولا يمكن أن يحقق الإنسان أهدافه، ويبلغ غايته إلا إذا توفرت له جميع عناصر النمو، وأخذ حقوقه كاملة، وفي مقدمة هذه الحقوق التي ضمنها الإسلام حق الحياة، وتوافر له الأمن والأمان، فبالأمن والأمان تحلو العبادة، ويصير النوم سباتًا والطعام هنيئًا والشراب مريئًا، الأمن والأمان، هما عماد كل جهد تنموي، وهدف مرتقب لكل المجتمعات على اختلافها.

والأمن هو إحساس الفرد والأفراد والجماعات التي يتشكل منها المجتمع بشعور الطمأنينة والأمان مما يحفزهم على العمل، ويوفر لهم مناخ الاستقرار اللازم لاستمرار التنمية والإنتاج والتقدم والرخاء، فالأمن هو مطلب الشعوب كافة بلا استثناء، ويشتد الأمر في المجتمعات المسلمة، التي إذا آمنت أمنت، وإذا أمنت نمت، وانبثق عنها أمن وإيمان، إذ لا أمن بلا إيمان، ولا نماء بلا ضمانات واقعية ضد ما يعكر الصفو في أجواء الحياة اليومية.

كما أن أمان الفرد وحمايته هو أحد أبسط الحقوق المحددة في الإعلان الدولي لحقوق الإنسان الذي أقرته الأمم المتحدة عام ١٩٤٨، والذي نص عليه في المادة ٧ «كل الناس سواسية أمام القانون، ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة دون أية تفرقة، كما أن لهم جميعا الحق في حماية متساوية ضد أي تمييز يخل بهذا الإعلان وضد أي تحريض على تمييز كهذا».

جهود المملكة في محاربة الإرهاب

تعتبر المملكة العربية السعودية من الدول الرائدة في محاربة الإرهاب، ويتبين هذا من خلال توقيع الدولة على المعاهدات ضد الإرهاب وتنظيمها المؤتمرات والندوات، وتشكيل لجان شرعية وأخرى للمناصحة من أجل محاربته، إضافة إلى القرارات المتعددة التي صدرت من هيئة كبار العلماء ومن مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي، والتابعة لمنظمة التعاون الإسلامي.

ونجحت المملكة، في التصدي للجرائم الإرهابية بالتفاف مواطنيها حول قيادتهم، ومساندتهم لجهود رجال الأمن في تنفيذ مهامهم، وحرصت في استراتيجيتها الشاملة لمكافحة الإرهاب، على تبني سياسة مواجهة الفكر بالفكر، وسعت في سبيل ذلك إلى تسخير كافة الجهود لمواجهة الفكر الضال، وكشف حقيقته وأهدافه، وحماية مواطنيها منه.

كما دعا خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود إلى العمل الجاد والمستمر لمكافحة الإرهاب والحد من شره الذي عم العالم بسبب التساهل في مكافحته، مطالبًا دول العالم بضرورة إنشاء المركز الدولي لمكافحة الإرهاب انطلاقًا من إدراك مقامه الكريم أهمية مكافحة هذه الآفة بأسلوب علمي ومنهجي يشارك فيه المتخصصون وذوو الخبرة والرأي، وهذا يأتي من دور المملكة العربية السعودية كقلب للعالم الإسلامي ينبض بالحب والخير والوفاء والسلام لأبناء الأمة الإسلامية التي اختارها الله عز وجل لتكون خير أمة أخرجت للناس.

> الأمن في المملكة العربية السعودية راسخ كالجبال، جذوره ثابتة ومستقرة في أعماق الأرض

د.الشريم: الأمن الفكري ينبغي أن يتوج بحفظ الفكر التعليمي، والأمن الإعلامي

د.الشريم يصنف أنواع الأمن

أما أنواع الأمن فأوضحها الشيخ سعود الشريم - إمام المسجد الحرام - في إحدى خطبه بقوله «هناك ما يسمى بالأمن الغذائي، وما يسمى بالأمن الصحي الوقائي، وهناك ما يتعلق بالضوابط الأمنية في مجال التكافل الاجتماعي، وتهيئة فرص العمل والإنتاج، والقضاء على البطالة المثمرة الخلل والفوضى، إضافة إلى النواحي الأمنية المنبثقة من دراسة الظواهر الأسرية وما يعتريها من ثقوب واهتزاز في بنيتها التحتية، لأن الأمن بين الجنسين وبالأخص بين الزوجين هو سبب ولاشك من أسباب أمن العشيرة، وأمن العشيرة أمن للأمة، المؤلفة من العشائر، المؤلفة من الأزواج، فهذا الأمن المترابط هو الذي يتكون منه مزاج الأمة الأمني».

وأضاف إمام الحرم المكي أنه يجب علينا ألا نغفل نوعًا آخر يعتبر هاجسًا أمنيًا لكل مجتمع، ألا وهو الأمن الفكري، فالأمن الفكري الذي يحمي عقول المجتمعات ويحفظها من الوقوع في الفوضى، والانغماس في الشهوات بنهم، أو الولوج في أتون الانسلاخ الأخلاقي الممزق للحياء الفطري والشرعي.

وقال الشيخ الشريم: «الأمن الفكري ينبغي أن يتوج بحفظ عنصرين عظيمين ألا وهما: عنصر الفكر التعليمي، وعنصر الأمن الإعلامي، إذ يجب على الأمة من خلال هذين العنصرين ألا تقع في مزالق الانحدار والتغريب، والتي هي بدورها تطمس هوية المسلم، وتفقده توازنه الأمني والاعتزاز بتمسكه بدينه، إذ إن الأمن على العقول، لا يقل أهميته عن أمن

الأرواح والأموال، فكما أن للبيوت لصوصًا ومختلسين، وللأموال كذلك، فإن للعقول لصوصًا ومختلسين، بل إن لصوص العقول أشد خطرًا، وأنكى جرحًا من سائر اللصوص».

وأشار إلى أن الفكر الإعلامي مقبض رحى المجتمعات المعاصرة، به يبصر الناس وبه يغربون، به تخدم قضايا المسلمين وتنصر، وبه تطمس حقائقها وتهدر، وبه تعرف المجتمعات الجادة من المجتمعات المستهترة، المجتمعات المثلى من المجتمعات الناكبة، وما يكون في الفكر الإعلامي من اعتدال وكمال، يكون كمالًا في بنية الأمن الإعلامي واعتدالًا، وقرة عين لمجموع الأمة بأكملها، وما يطرأ عليه من فساد واعتلال فإنه يكون مرضًا للأمة، يوردها موارد الهلكة والتيه.

وطالب الشيخ الشريم بأن ننظر إلى الحقيقة الأمنية من أوسع أبوابها، وأقرب الطرق الموصلة إليها، بقوله «ينبغي على المسلمين جميعًا ألا يغفلوا جانب أسلمة الأمن الفكري».

الشيخ الزهراني: الأمن هو أمل تنشده الأمم

الأمن في المملكة العربية السعودية راسخ كالجبال جذوره ثابتة ومستقرة في أعماق الأرض، وتعتبر المملكة بفضل الله تعالى مضرب الأمثال في الأمن وهذا يرجع إلى تطبيق شرع الله على أرضها مما كان له الأثر الإيجابي في توفير الأمن والاستقرار، وحول هذا الموضوع يقول فضيلة الشيخ يحيى بن موسى الزهراني: إن بلاد الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية – حرسها الله – قبلة الأوطان، زينة البلدان، ومنها تستقي الدنيا والتأريخ والحضارات رحيق المجد والسلام والاتحاد والوئام، وترتشف منها الأمم والأجيال شهد الروح والجنان، وتتسم نفحات الجنان ومراضي الرحيم الرحمن، فقد أنعم الله عليها بنعمة الأمن، مذكرًا بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ (النور٥٥).

وأضاف الزهراني في إحدى خطبه، «الأمن ليست كلمة تقال، بل أمل منشود تنشده كل أمة على وجه الأرض، ولك أن تتخيل دولة في غياب أمن، انظر إلى القتل الذريع، والتعذيب والتخويف والتهديد، إذ لا يأمن الإنسان على نفسه ولا على أهله ولا على ماله، بل يعيش لحظات الرعب والهلع في كل لحظة، يخشى مداهمة عدو عليه أو لصوص، لا يهنأ بطعام ولا شراب ولا نوم ولا أي لذة من ملذات الحياة»، وأوضح الزهراني الأمن في الإسلام مقصد عظيم شرع له من الأحكام ما يكفله ويحفظ سياجه، ويدرأ المساس بجنابه، فقد تضافرت النصوص القطعية على وجوب المحافظة على الضروريات الخمس، وهي: الدين، والنفوس، والعقول، والأعراض، والأموال، وحرمت الشريعة كل وسيلة إلى النيل من هذه المقاصد، أو التعرض لها، وشرعت من الأحكام الزاجرة ما يمنع من التعرض لها أو يمس بجوهرها.

مؤكدًا أن الإسلام حرم كل فعل يعبث بالأمن والاطمئنان والاستقرار، وحذر من كل عمل يبث الخوف والرعب والاضطراب، من منطلق حرصه على حفظ أجل النعم: الأمن والأمان.

ومن هذا المنطلق نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يتسبب الإنسان بفعل يؤدي إلى المساس بالأمن والاستقرار، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا» –رواه أحمد وأبو داود، وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار» – متفق عليه..

د.السعدي: الأمن يصنع الحضارة والتنمية

من جانبه قال الدكتور اسحق بن عبدالله السعدي – أستاذ الشريعة بجامعة الرياض – إن هاجس الأمن يوقظ الأمم والمجتمعات الإنسانية في تاريخها كله –القديم والحديث– وذلك لما له من أهمية في حياتها واستقرارها، ولا يتأتى الاستقرار للفرد والمجتمع إلا تحت مظلة الأمن. فإذا كان الفرد خائفًا أو المجتمع مهددًا في أمنه فإن الطمأنينة والاستقرار لن يتوفر، وبالتالي تحدث الأزمات النفسية وما يترتب عليها من الشقاء والبؤس والقلق والحرمان.

أمن الفرد وحمايته هو أحد أبسط الحقوق التي أقرها الإعلان الدولي لحقوق الإنسان

ولا يتأتى للفرد أن يسهم في بناء أمته حضاريًا، ولا يستطيع المجتمع أن ينتج حضارة ويزاول فعالياتها إلا في جو من الأمن وبحبوحة الاستقرار؛ من أجل ذلك كان الأمن المنطلق والغاية في حياة الأفراد والمجتمعات الإنسانية لكي تسعد أولاً، وتسهم في الحضارة والتقدم الحضاري ثانيًا.

وعن الأمن في المملكة أضاف السعدي قائلاً: «عندما يأتي الحديث عن الأمن في المملكة العربية السعودية فإن الشخصية الأولى الذي رفع رايته خفاقةً في سماء الوطن واستظل بظلالها الوارفة مجتمع المملكة العربية السعودية ومن كان في ضيافتهم وارتبط بهم بأي رباط من روابط الأخوة والصداقة والجوار والعلائق الإنسانية في مختلف صورها ومعانيها؛ الشخصية الأولى التي يعود الفضل بعد الله إليه هو الملك عبد العزيز – طيب الله ثراه – فقد ظهر نجمه في سماء الوطن وأضاء طالعه حياة الأمة، وكان طالع السعد والسعود متزامنا مع ظهوره وانتصاره، حيث عادت للأمة بشخصيته الموهوبة وبحظه السعيد وحدتها وجدد توحيدها، وكان عهده نقطة تحول في تاريخ الأمة الحديث؛ انتقلت به من حال إلى حال ومن طور إلى طور آخر؛ انتقلت من الفوضى الضاربة، ومن الضياع والتمزق والشتات، ومن الفقر والجهل والمرض والخوف إلى الأمن والاستقرار والنظام والوحدة والتوحيد والطمأنينة النفسية على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع، وانتقل شعب المملكة العربية السعودية من طور الركود والانحطاط الفكري، والتخلف الحضاري إلى طور النهوض والتقدم والعلم والمعرفة، والتنمية الشاملة في كافة الميادين والأصعدة».

وأوضح السعدي أن للمرء أن يتساءل عن الركيزة الأساسية التي قام عليها هذا الصرح الشامخ الأغر (الوطن)؟ وعن تلك المظلة التي تظله لينعم بالخير ويهنأ بالسعادة والراحة والرفاهية؟ مجيبا إنه «الأمن»، الأمن لكي ينتج المواطن، الأمن لكي يستقر المواطن، الأمن لكي تنبعث الأمة وتنبعث حضارتها.

وتابع يقول: «إذا كان هذا الأمن راسخًا ولا شك برسوخ أسسه الثابتة العميقة تلك الأسس التي تمخضت في مؤسسات حضارية متقدمة في أطرها الثلاثة (التشريعي والتنظيمي والتنفيذي) فإن لتلك الأسس وما انبثق عنها عظيم الأثر في الاستقرار والتنمية الشاملة التي تظهر في مظاهر عدة من أهمها: الوحدة الوطنية، والتقدم الحضاري باعتباره أحد المكاسب المباشرة للأمن، وقد تحقق هذا التقدم النوعي المذهل كنتيجة مباشرة وثمرة حلوة للأمن، والمظهر الثالث هو الوعي الثقافي كمكسب آخر من مكاسب الأمن، مشيرا إلى أنه قد شاع في المجتمع السعودي النبيل بصفة بارزة وملموسة على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع من خلال التعليم بمختلف أنواعه ومؤسساته ومن خلال أساليب المعيشة الحديثة والمظهر العام والذوق العام بما لفت نظر العالم قاطبة لهذا الرقي الثقافي وتجلياته التحديثية والتراثية التي بلغت أوج ازدهارها تحت مظلة الأمن الوارف.

أما المظهر الرابع، فنوه أستاذ الشريعة بجامعة الرياض إلى أنه يكمن في الرقي المعيشي، مشيرًا إلى إنه من الآثار المترتبة على الأمن والاستقرار فقد تحقق للفرد والمجتمع لأنهما أصبحا آمنين في الحياة اليومية، وأصبحت التعاملات محكومة بالقيم والنظم والتشريعات ومن خلال البرامج التنموية الشاملة التي خطط لها ونفذت على أعلى المستويات، فيما أوضح أن المظهر الخامس هو الرفاهية الاقتصادية، حيث أصبحت الأسواق مفتوحة وتوفرت فيها مختلف السلع وراجت الأسواق بالمنتجات المحلية والمستوردة في أسعار تنافسية وما كان ذلك ليتحقق لولا توفر الأمن والاستقرار.

الإسلام والأمن داخليًا

يحرص الإسلام الحنيف على إقرار الأمن الداخلي والخارجي، حتى يعيش الناس جميعًا في حب وعدل وتكافل وتعاون واستقرار وطمأنينة في يومهم وغدهم ومستقبلهم، آمنين على حياتهم، ودمهم وعرضهم ومالهم وأولادهم وديارهم، لا يفزعون ولا يخافون.

الأمن والأمان

وفي ظل الأمن والأمان والطمأنينة يؤدي كل فرد من أفراد المجتمع واجبه على الوجه الأكمل، وتؤدي كل جماعة واجبها كأحسن من ما يكون الأداء، كذلك تنطلق الكلمة البناءة الهادية إلى الخير، والفكر الجاد الذي يعود نفعه على الجميع، ففي جو الأمن يحيا الناس مطمئنين فرحين مستبشرين يؤدون ما عليهم من واجبات في هدوء واستقرار، وفي سلام وسعادة وهناء وأمن.

ودعا الإسلام إلى استقرار واستقامة الأمن الداخلي من كافة الصور والمجالات، فإذا نظرنا إلى رؤية الإسلام إلى أمن الإنسان الذاتي، نجده يأمر الإنسان أن يكون معتدلًا سائرًا في طريق الخير والحق والعدل والأمان، ويحذره من أن يلقي بنفسه في التهلكة، ونجد ذلك في قوله تعالى في سورة البقرة ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾،كما يوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس جميعًا أن أمن الإنسان على نفسه نعمة كبيرة إذا تحققت معها عافية البدن، وقوت اليوم، فقد اكتملت أسباب السعادة، وكأنما حيزت الدنيا للإنسان، وذلك في حديثه الذي رواه الترمزي «من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا».

وإذا نظرنا إلى دعوة الإسلام فيما يتصل بجانب الأمن الداخلي، بالنسبة للأهل والأسرة (الآباء- الأمهات- الزوج- الزوجة- الأولاد- الأقارب- الجيران- الأصدقاء... إلخ) نجد وصايا ربانية في قوله تعالى في سورة التحريم: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾، وكذلك فيما يخص أمن الجيران فهناك تأكيد قوي على ذلك حيث إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»، وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر: «والله لا يؤمن - ثلاث مرات - قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه (شره)».

الإسلام والأمن الخارجي:

أما فيما يتصل بدعوة الإسلام إلى الأمن الخارجي فإن الدعوة الإسلامية منذ بدايتها قامت على العدل والإحسان والخير والحكمة والموعظة الحسنة والحوار مع الآخر بالتي هي أحسن، ولم ينتشر الإسلام بالحرب ولا بالسيف ولا بالقهر ولا بالإجبار، ولا بأي أسلوب من أساليب القوة أو العنف (كما يزعم الزاعمون والمتعصبون)، بل إن مشروعية الجهاد يتلخص حكمها في الدفاع عن الدين، وتأمين الطرق أمام الدعوة الإسلامية التي هدفها الأول هو: إحقاق الحق، وإزهاق الباطل، وكرامة الإنسان، وخيرية الناس أجمعين في كل زمان ومكان، وكذلك في الدفاع عن النفس والوطن، فالجهاد الذي يراه الإسلام هو جهاد في سبيل الله تعالى، لاصلة له بأساليب الهيمنة أو القهر أو السطو أو الاستعمار السياسي أو الاقتصادي.

ويدعو الإسلام إلى الأمن والسلام، فتحية المؤمنين في الجنة هي السلام، وتحية أهل الإسلام في الدنيا هي السلام، وننهي صلاتنا بالسلام، والسلام اسم من أسماء الله الحسنى، ومن هنا فبمجرد أن يجنح العدو للسلام فعلينا أن نجنح لها، متوكلين على الله حق التوكل، وبالطبع طالما كان السلام سلامًا عادلًا، سلامًا يتعامل فيه الجميع سواسية، والإسلام الحنيف يطلب منا عدم الاعتداء، ولكن من اعتدى علينا فمن الضروري أن ندافع عن النفس وعن الأرض وعن العرض وعن المال وعن الأهل والأولاد.

ولأهمية وضرورة الأمن والسلام لنا جميعًا، أوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من حمل على المسلمين السلاح فليس منهم، ليبين أن أهم صفات المؤمن الصادق في إيمانه هي الأمان، فيقول صلى الله عليه وسلم «المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم».